الفصل الخامس

إبطال التثليث عقلا ونقلا

وقد جاء في مبحثين :

المبحث الأول : إبطال التثليث بالأدلة العقلية .

المبحث الثاني : إبطال التثليث بالأدلة النقلية وقد جاء في مبحثين :

المبحث الأول : إبطال التثليث بالأدلة العقلية .

المبحث الثاني : إبطال التثليث بالأدلة النقلية

المبحث الأول

إبطال التثليث بالأدلة العقلية

إن المتأمل في الأسفار المقدسة يرى دون عناء غرابة دعوة التثليث وتتضح أمامه بسهولة أصالة التوحيد في النصرانية وبهاؤه ، فقد دلت عليه عشرات النصوص الصريحة الناصعة في وضوحها، والتي تؤكد بأن معتقد المسيح وتلاميذه ومن قبلهم أنبياء الله هو توحيد الله تعالى ، ومع هذا تمسك النصارى بعقيدة باطلة ما أنزل الله بها من سلطان وفي هذا المبحث نعرض لأدلة إبطال التثليث من زوايا متعددة . فأقول وبالله التوفيق :

لقد ساق العلماء عدة أدلة عقلية علي بطلان هذه العقيدة جاءت علي النحو التالي :

الدليل الأول :

إذا كان هناك ثلاثة أشخاص إلهية متميزة ومنفصلة ، إذن يلزم أن يكون هناك ثلاثة ذوات منفصلة ومتميزة ؛ لأن كل شخص ملازم ذاته ، والآن إذا كان الآب هو الله ، والابن هو الله ، والروح القدس هو الله إذن فإن لم يكن الآب والابن والروح القدس ثلاثة متميزين فلابد أن يكونوا ثلاثة ذوات متميزة وبناء على ذلك ثلاثة آلهة متميزة وفضلاً عن ذلك أن الأشخاص الإلهية الثلاثة إما أن تكون سرمدية أو محدودة ، فإذا كانت سرمدية إذن يصبح ثلاثة متميزة سرمدية ثلاثة كلى القدرة ثلاثة أبدية وهكذا ثلاثة آلهة .

وإذا كانوا محدودين إذن فنحن قد توصلنا إلى بطلان مفهوم الكائن السرمدي ذات الثلاثة وجوه على قيد الحياة أو ثلاثة أشخاص منفصلين محدودين لتصنع الصلة الأزلية ، والحقيقة هي هكذا أن الأشخاص الثلاثة محدودون وإذن فليس الأب ولا الابن ولا حتى الروح القدس هو الله[1].

---

1 – الغفران بين الإسلام والمسيحيين ، بقلم / إبراهيم خليل أحمد صـ 96ـ97 . دار المنار بالقاهرة ط 1. 1409هـ 1989م .

الدليل الثاني :

ومما يدل أيضاً على مخالفة هذه العقيدة للعقل أن النصارى اتفقوا على أن أقانيم الآب ، والابن ، والروح القدس غير مختلفة بل هي أقنوم واحد . فإذا كان هذا الآب هو الابن ، وهما روح القدس ، والكل شيء واحد ، وهذا توحيد ، فلم خصصتم المسيح بالابن ، ولم تقولوا أنه الآب ، وقد قلتم : إن الآب ، والابن والروح القدس شيء واحد ؟ثم جعلتم جوهر البدن شيئاً معبوداً وليس من الثلاثة ، فهؤلاء أربعة ، وقد بطل التثليث ، وصار تربيعاً ، فإن أبيتم إلا ثلاثاً فقد جعلتم نفي العبد وإثباته سواء ، وكابرتم العقول"[1] .

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى تخبط النصارى في هذه العقيدة التي لا يقرها العقل ، والتي توصل في نهاية هذا الدليل إلى أربعة بديلاً من ثلاثة[2].

الدليل الثالث :

وفيه يقول الشيخ رحمت الله الهندي وهو بصدد الحديث عن التوحيد والتثليث : إذا ثبت أن الشيئين بالنظر إلى ذاتيتهما ضدان حقيقيان ، أو نقيضان في نفس الأمر فلا يمكن اجتماعهما في أمر واحد شخصي في زمان واحد من جهة واحدة واجبا كان ذلك الأمر أو غير واجب كيف ؟.

* وأن الواحد الحقيقي ليس له ثلث صحيح والثلاثة لها ثلث صحيح وهو واحد.

* وأن الواحد الحقيقي جزء الثلاثة فلو اجتمعا- أي التثليث- الحقيقي والتوحيد الحقيقي- في كل واحد يلزم كون الجزء كلا والكل جزءا.

* وأن هذا الاجتماع يستلزم كون الله مركبا من أجزاء غير متناهية بالفعل لاتحاد حقيقة الكل والجزء على هذا التقدير ،والكل مركب ، فكل جزء من أجزائه أيضا مركبا

1- بين الإسلام والمسيحية . كتاب أبى عبيدة الخزرجى . تحقيق د . محمد شامة صـ181 .مكتبة وهبة

2- ينظر: ذيل الفارق بين المخلوق والخالق ، للعلامة . عبد الرحمن الباجة جى زاده صـ 6 في رد رسالة شرح التعليم المسيحي لقواعد الإيمان الكاثوليكي .

من الأجزاء التي تكون عين هذا الجزء وهلم جرا وكون الشيء مركبا من أجزاء غير متناهية بالفعل باطل قطعا.

* وأن هذا الاجتماع يستلزم كون الواحد ثلث نفسه والثلاثة ثلث الواحد وكون الثلاثة ثلاثة أمثال نفسها والواحد ثلاثة أمثال الثلاثة وهو ما لا يقول به عاقل[1].

الدليل الرابع :

ومما يدل أيضاً على عدم قبول العقل لهذه العقيدة ما ذكره الشيخ رحمت الله الهندي أيضاً في نقده لهذه العقيدة ، فقال : " لو وجد في ذات الله ثلاثة أقانيم ممتازة بامتياز حقيقي كما قالوا فمع قطع النظر عن تعدد الوجباء يلزم ألا يكون الله حقيقة محصلة ؛ بل مركباً اعتبارياً فإن التركيب الحقيقي لابد فيه من الافتقار بين الأجزاء ، فإن الحجر الموضوع بجنب الإنسان لا يحصل منهما حقيقة أحدية ولا افتقار بين الواجبات لأنه من خواص الممكنات ، فالواجب لا يفتقر إلى الغير ، وكل جزء منفصل عن الآخر وغيره وإن كان داخلاً في المجموع ، فإذا لم يفتقر بعض الأجزاء إلى بعض آخر لم تتألف منها الذات الأحدية ، على أنه يكون الله في الصورة المذكورة مركباً ، وكل مركب يفتقر في تحقيقه إلى تحقيق كل واحد من أجزائه ، والجزء غير الكل بالبداهة ، فكل مركب مفتقر إلى غيره ، وكل مفتقر إلى غيره ممكن لذاته فليزم أن يكون الله ممكناً لذاته ، وهذا باطل"[2].

وهذا الدليل المذكور وضح فيه الشيخ رحمت الله الهندي أنه لو وجدت في ذات الله ثلاثة أقانيم متميزة للزم على هذا ألا يكون الله حقيقة محصلة بل هو مركب اعتباري ، وإذا كان الأمر كذلك فإن المركب يحتاج إلى أجزاء ، وطالما أنه محتاج إلى أجزاء فهو مفتقر إلى غيره ، وكل مفتقر إلى غيره ممكن لذاته ، وعلى هذا يلزم أن يكون الله ممكناً لذاته وهذا محال لأنه لا يليق بالإله اتصافه بهذه الأوصاف ، ومن ثم بطل قولهم بالتثليث .

---

1 – ينظر : إظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي جـ3 صـ 725 ـ 726.

2– إظهار الحق 3 / 726 .

الدليل الخامس :

وعلى غرار الدليل السابق في نقد الشيخ رحمت الله الهندي ذكر هذا النقد ، فنجده يقول : " إذا ثبت الامتياز الحقيقي بين الأقانيم فالأمر الذي حصل به هذا الامتياز إما أن يكون من صفات الكمال أولا يكون ، فعلى الشق الأول لم تكن جميع صفات الكمال مشتركاً فيما بينهن ، وهو خلاف ما تفرد عندهم أن كل أقنوم من هذه الأقانيم متصف بجميع صفات الكمال ، وعلى الشق الثاني فالموصوف به يكون موصوفاً بصفة ليست من صفات الكمال ، وهذا نقصان يجب تنـزيه الله عنه " [1] .

وهذا الدليل يبين مدى تضارب النصارى في هذه العقيدة وتخبطهم فيها

لأنهم إذا قالوا بالامتياز الحقيقي بين هذه الأقانيم فإنه يترتب عليه أن يكون هذا الامتياز من صفات الكمال أم لا يكون ؟ فإن كان من صفات الكمال فإنه يلزم عنه أن تتصف هذه الأقانيم الثلاثة بهذا الكمال وهذا يتعارض مع قولهم: إن كل أقنوم من هذه الأقانيم متصف بكل صفات الجلال والكمال ، وإن لم يكن موصوفاً بصفات الكمال فهذا نقص يتنـزه عنه الله ولا يصح أن يكون إلهاً ؛ لأن الإله يجب أن يكون متصفاً بجميع صفات الكمال منزهاً عن كل صفات النقص وإلا ما استحق أن يكون إلها.

الدليل السادس :

أن هذه العقيدة تجعل الله تعالى مركباً من أجزاء ، وهذا يعني احتياجه إليها ، وهذا يتنافى مع كمال الله تعالى ، لما هو معلوم أن الله تعالى منزه عن أي نقص ، والاحتياج نقص .

يقول د . محمد مجدي مرجان : " إذا ما حاولنا عرض هذا القول على صفحة العقل للفظه أيضاً في بداهة سريعة .... فلا يمكن للعقل أن يتصور إلها مكونا أو مركبا من أجزاء أو عناصر ثلاثة ، فالشيء المركب لا يتكون ولا يتم وجوده إلا بعد وجود تلك العناصر والأجزاء التي يتركب منها ، فوجود الأجزاء يسبق تكوينها وتركيبها ، والله لم يكن مسبوقا بشيء فهو الأزلي وحده فكيف يمكن أن يكون مكونا من أجزاء أو عناصر

1- السابق 3 / 727 .

.

إن وحدانية الله وحدانية مطلقة وحدانية لا تركيب فيها على الإطلاق وليس وحدانية في تثليث كما يقولون ، كذلك فإن الشيء المركب يفتقر في تحققه وتكونه إلى كل جزء من أجزائه ، فإن لم يفتقر بعض الأجزاء إلى الآخر لا يمكن أن تتألف منها الذات الأحدية ، والله لا يفتقر إلى شيء ولا يحتاج إلى أحد فهو الغنى وحده والكل محتاج إليه .

كما أنه لابد للمركب من مركب يتولى تركيب أجزائه وعناصره وضم بعضها إلى بعض حتى يتكون الكل ويصير كاملا ... والله سبحانه وتعالى لم يكونه أو يركبه أحد ولا علة له ، فهو موجود بذاته أزلا ، كذلك فإن الشيء المركب محدود بكمية أجزائه وعناصره ومقدارها ، فهو محدود بحدود الأجزاء التي ركب منها ، وبالتالي فمن الممكن رؤيته وتحديده فهو يتحيز بمكان وحيز معين ،والله جل في علاه غير محدود ولا متناه ولا يحده مكان أو زمان ولم يره أحد ،فهو غير مركب بل هو واحد وحدانيته مطلقة ... فكل مركب صائر إلى الانحلال ، لذلك لا يكون الواحد إلا بسيطا غير قابل للتجزئة"[1] .

فهذا الدليل يوضح إلى أي مدي استحالة وجود إله مركب من أقانيم ثلاثة لكونه لا يتوافق مع كمال الذات الإلهية .

الدليل السابع :

وهو للشيخ عبد الرحمن باجة في رده على "رسالة أبحاث المجتهدين"[2] .

يقول : " لو سألنا صاحب هذا التصنيف عن قوم يعترفون بالإله الواحد بدون

---

1 – ينظر : الله واحد أم ثالوث د .محمد مجدي مرجان صـ67 ـ68.

2– هذه الرسالة مطبوعة في مصر سنة 1901م تأليف . نيقولا يعقوب غبريل واسمها أبحاث المجتهدين في الخلاف بين النصارى والمسلمين " وهى مشتملة على تسعة مباحث وفصول يستشهد فيها بالآيات الكريمة من القرآن والأحاديث النبوية وزعم أنها تدل على عدم تحريف التوراة والإنجيل هذا ، وقد رد الشيخ عبد الرحمن باجة على ما جاء في هذه الرسالة في كتابه "ذيل الفارق بين المخلوق والخالق" (ينظر : صـ30 من كتاب ذيل الفارق أ العقائد النصرانية في الميزان د. محمود سيد هامش صـ156 ط الدار الإسلامية للطباعة والنشر ط1 .1425ه / 2004م) .

تثليث ، وقوم يثلثون الإله بدون توحيد أيهما على الحق ، فإن صحح القولين بأنهما على الحق فلم تبق إذاً حاجة للقوم الموحدين أن يقولوا بالتثليث لأنهم اتبعوا التوحيد الذي صح عند المؤلف ، وإن كفر القوم القائلون بالتوحيد بدون تثليث ، والتثليث بدون توحيد فيلزم حينئذ تكفير المسيح -والعياذ بالله- من وجهين :

الوجه الأول : لأنه وحد الله بدون تثليث ، وذلك في مواضع كثيرة [1].

والوجه الثاني : لأنهم زعموا بأنه قال بوصية حين الرفع في آخر من إنجيل متى ونصه : "عمدوا باسم الأب والابن وروح القدس ، فقط ولم يقل لهم إله واحد .. فلم يبق إذاً إلا تكفير المسيح مع كافة الأنبياء والمرسلين ومن آمن بهم من المسلمين لأنهم كلهم موحدون بدون تثليث"[2].

وكله في النهاية يثبت مدى غموض هذه العقيدة وأن النصارى يسلمون بها بدون إدراك وفهم ؛ لأنهم لو أدركوا وفهموا لنقضوا هذه العقيدة ، وهذا واضح من خلال هذا الدليل ، فقد يأتون بالشيء ونقيضه في آن واحد ، وهم لا يستطيعون الوصول إلى هذه الحقيقة الواقعة من أن الكون لا يستقيم حاله ونظامه لو كان فيه ثلاثة آلهة كما يعتقدون ، ولقد صدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [3].

الدليل الثامن :

أن ذات الله وصفاته قديمة غير متغيرة ، فلو كان التثليث حقا لكان قديما كذلك ، ولو كان قديما حقا لبينه موسى عليه السلام ومن بعده من أنبياء بنى إسرائيل حق التبيين ولبينه كذلك عيسى عليه السلام ولكنه لم يفعل والدليل على ذلك من واقع كتبهم .

يقول قاموس الكتاب المقدس : إن كلمة التثليث والثالوث لم ترد في الكتاب

1- منها على سبيل المثال ما جاء في إنجيل يوحنا 17/ 3 ، وهذه هي الحياة الأبدية : أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ، وأن يسوع الذي أرسلته .

2- رد رسالة أبحاث المجتهدين ضمن كتاب ذيل الفارق . للشيخ . عبد الرحمن باجة صـ56 ، العقائد النصرانية في الميزان د. محمود سيد صـ156ـ157 .

3- سورة الأنبياء من الآية : 22 .

المقدس ، ويظن أن أول من صاغها واخترعها واستعملها هو "ترنليان" في القرن الثاني للميلاد [1].

كما أن كلمة أقانيم لم يرد ذكرها في الكتب المعتمدة لديهم .فلو كان التثليث كما يقولون فلماذا لم تناد به العقائد السابقة علي عيس عليه السلام ؟لكن الحق أن هذه العقيدة لم يرد ذكرها في كتاب منزل.

وبناءً على هذا الاعتراف السابق ذكره يتضح لنا أن التثليث عقيدة باطلة لم يقل به أحد من الأنبياء .

وأما النصوص التي استشهدوا بها فهي ليست صريحة وعلى فرض صراحتها فهي من واقع فكرهم المنحرفاً وهكذا بان لنا أن العقل يرفض هذه العقيدة لا لأنها فوق مستوى العقل كما يزعمون ،بل لأنها متصادمة مع الفطرة متناقضة مع العقل السليم تتعارض مع قوانين الفكر الأساسية .

1 – ينظر : قاموس الكتاب المقدس صـ232.

المبحث الثاني

إبطال التثليث بالأدلة النقلية

أ/ إبطال التثليث بنصوص التوراة :

إذا كان النصارى يعترفون بالتوراة ويؤمنون بها ، كما أنها تعد من أهم مصادرهم المقدسة ، فهي تمثل العهد القديم ، وأناجيلهم تمثل العهد الجديد ، ومن ثم لا ينكرون ما جاء في التوراة .

وإذا كنا لم نجد للتثليث دليلاً صريحاً واحداً ينهض للاستدلال، فهل ترانا نجد لنقيضه، وهو التوحيد دليلاً في ثنايا الكتاب المقدس؟

أقول إن المتأمل في الأسفار المقدسة يرى بوضوح غرابة دعوة التثليث وتسطع أمامه أصالة التوحيد في النصرانية وبهاؤه ، فقد دلت عليه عشرات النصوص الصريحة الناصعة في وضوحها، ولا غرابة في ذلك حيث إن الدعوة إلى الوحدانية هي الغاية التي أرسل الله بها الأنبياء ، والمتأمل في التوراة يجد أنها اشتملت على عشرات النصوص ، التي تثبت الوحدانية ، وتنبذ الشرك ، ومن هذه النصوص ما يلي :

1ـ جاء في سفر الخروج " أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من دار العبودية لا يكن لك آلهة أخرى أمامي لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض ، لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك إله غيور"[1].

فهذا النص كما يذكر أحد الباحثين : صريح في نفي الشرك عن الله تعالى وإثبات الوحدانية له ، فلا إله من السماء يكون مع الله ، ولا إله من الأرض يكون شريكا لله ولا إله من المياه يكون معبودا من دون الله ، فإذا ما جاء النصارى المثلثون بعد ذلك ليقولوا إن عيسى إله لأنه نزل من السماء ، أو لأنه يجلس عن يمين الله فدعواهم هذه باطلة ؛ لأن التوراة التي يؤمنون بها تنفي الشريك عن الله وتثبت له الوحدانية[2].

1- سفر الخروج 20/ 2-5 وسفر التثنية 5 / 8: 10.

2 - ينظر : عقيدة التثليث عند النصارى د. شتيوى صـ47.

2- وجاء في سفر التثنية " اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد ، فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك، ولتكن هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم على قلبك "[1] .

فهذا النص واضح في إثبات الوحدانية لله -ﷻ- وأنه لا شريك له .

3ـ وجاء في سفر إشعياء " أنا الأول وأنا الأخر ولا إله غيري ... أنا الرب صانع كل شيء ناشر السماوات وحدي باسط الأرض من معي "[2].

4ـ وفي نفس السفر " أنا الرب وليس آخر لا إله سواي مصور النور وخالق الظلمة وصانع السلام وخالق البشر أنا الرب صانع كل هذه"[3].

5ـ وقال داود -عليه السلام- :" يا رب .. لا إله غيرك ، حسب كل ما سمعناه بآذاننا"[4]

6- " ليعلم كل شعوب الأرض أن الرب هو الله وليس آخر"[5] .

7- " أنت هو الإله وحدك ، لكل ممالك الأرض"[6] .

إن هذه النصوص التي تدعوا إلى التوحيد الكامل تناقض ما وضعه النصارى في أمانتهم فعيسى عليه السلام الذي قالوا إنه مولود من الأب قبل الدهور ينقضه ما جاء في هذه النصوص من أن الله هو الأول وهو الأخر وهو صانع الكل بما في ذلك عيسى عليه السلام ، وحسب هذه النصوص فالله صانع الكل وليس كما يدعى المثلثون أن عيسى كان به كل شيء ...

وهكذا رأينا في التوراة نصوصا تثبت الوحدانية لله تعالى فإذا كان عيسى عليه السلام ما جاء لنقض ما فيها وما جاء لينقض ما جاء به موسى – كان لزاما على هؤلاء المثلثين أن يعودوا إلى رشدهم ويتبرأوا من التثليث ويعودوا إلى التوحيد[7].

وبعد ، فهذا بعض من كل وقليل من كثير من نصوص التوراة التي تحدثت عن

1- التثنية 6/ 4: 6 .
2 – سفر إشعياء 44/ 24 : 26
3- سفر إشعياء 45/ 5 : 8 .
4 أخبار الأيام الأول . 17 / 20 .
5 الملوك الأول. 37 / 16 .
6 الملوك الثاني. 19 / 16 .
7 – ينظر :: عقيدة التثليث عند النصارى صـ 48.

وحدانية الله -ﷻ- ولم تتحدث عن التثليث أليس هذا مخالفاً لما استدل به النصارى على إثبات هذه العقيدة فهذه النصوص من واقع التوراة التي يؤمنون بها ويسلمون بما فيها ، وفي هذا برهان كاف لبطلان ما يعتنقونه.

ب/ إبطال التثليث بنصوص الإنجيل :

كما نطقت أسفار العهد القديم بفساد هذه العقيدة جاءت أسفار العهد الجديد هي الأخرى تشهد بتفرد الله بالألوهية ، ومن ذلك ما جاء علي لسان المسيح وحواريه.

1- جاء في إنجيل مر قس : " أن أحد الكهنة سأل المسيح عن أول الوصايا فأجابه يسوع أولى الوصايا جميعاً هي : اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد ، فأجاب الرب إلهك بكل قلبك وبكل نفسك وبكل فكرك وبكل قوتك هذه هي الوصية الأولى . فقال له الكاتب صحيح يا معلم : حسب الحق تكلمت فإن الله واحد وليس آخره سواه ومحبته بكل القلب وبكل الفهم وبكل القوة "[1] .

2 - جاء في إنجيل يوحنا على لسان المسيح " وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته "[2].

يقول أ. د. محمد شلبي معلقا على هذا النص : " فهذا النص اشتمل على ثلاث كلمات كلها تثبت الوحدانية لله تعالى وتنفي عنه الشرك والتثليث وأول هذه الكلمات قول عيسى " وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي " ، فعيسى هنا يعرف الناس بالطريق الصحيح لتحصيل الحياة الأبدية ألا وهو معرفتهم بأن الله وحده هو الذي يستحق الألوهية دون غيره من المخلوقات ،ولو كان عيسى إله كما يدعى النصارى لكان قد قال : أنت وأنا إلهان حقيقيان مثلا ولكنه عليه السلام لم يثبت هذا لنفسه وإذا فقول مؤتمر نيقية عن عيسى أنه إله حق من إله حق هو قول مخالف لما جاء به عيسى نفسه من أن الحياة الأبدية هي في معرفتهم بوحدانية الله وإيمانهم بها .

أيضا قوله ﷺ : "وحدك" يخرج بهذه الكلمة نفسه من أن يكون مشاركا لله في

1ـ مر قس. 12 / 29 : 33 .

2- إنجيل يوحنا 17/ 3.

هذه الألوهية الحقة ويثبت الوحدانية لله تعالى ،فليس عيسى مشاركا لله في شيء من هذا أبدا .

كما أن قول عيسى عليه السلام : " يسوع المسيح الذي أرسلته " اعتراف منه عليه السلام بأنه مرسل من الإله الحقيقي الواحد في هذه الألوهية ، ولو كان عيسى إلها كما يدعى أتباع بولس لما أسند إرساله بالرسالة إلى غيره ، و لكان قد أسندها إلى نفسه باعتباره إلها ، وإذا لم يقل عيسى هذا عن نفسه كان قول مؤتمر نيقية عن عيسى بأنه مساوٍ للإله الحق في الجوهر وأنه الذي كان به كل شيء ادعاء باطلا لا سند له من الحقيقة [1].

3- وجاء في إنجيل مر قس " فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأي أنه أجابهم حسناً سأله أية وصية هي أول الكل ، فأجابه يسوع إن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد ، وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك هذه هي الوصية الأولى ، وثانية مثلها هي تحب قريبك كنفسك ، ليس وصية أخرى أعظم من هاتين ، فقال له الكاتب جيد يا معلم بالحق قلت لأن الله واحد وليس آخر سواه "[2].

فهذا النص يؤكد أن الوصية الأولي التي أولاها المسيح عنايته واهتمامه إثبات أن الله واحد، فعلم أن أول الوصايا أن يعتقد الإنسان أن الله واحد لا شريك له ، وليس كما زعمت النصارى ، ولو قال عيسى بالتثليث لتناقضت أقواله وانصرف الناس عنه ، وخرجوا عليه ، فضلاً عن هذا فإن المتأمل في هذا النص يجد أنه اشتمل علي شواهد متعددة للوحدانية ، ونفي أكيد للشرك والتثليث ، ويدركه المرء دون عناء ، فكون عيسى يوصى بهذا القول يكون مؤمنا بوحدانية الله كما هو الحق ، بريئا من القول بالشرك والتثليث.

وهل يعقل أن يوصى عيسى بهذا – أي الوحدانية – ثم ينسب لنفسه الألوهية بعد ذلك فيكون مخالفا لأمر الله وهو رسوله ؟ ولو كان عيسى قد أوصى بالوحدانية ثم

1- ينظر : عقيدة التثليث عند النصارى صـ 48 ـ 49 .

2 -انجيل مر قس :12/ 28-33.

ادعى لنفسه الألوهية لتناقضت أقواله فانصرف الناس عنه ، وبخاصة أن اليهود كانوا يتربصون به الدوائر ، فاضمحلت دعوته وتشوهت رسالته ، ولكن مثل هذا لم يكن فدل على أن عيسى لم يصدر منه قول بألوهية منسوبة إليه ، وأن هذا ادعاء افترى عليه ممن جاءوا بعده .

وفي قول عيسى " الرب إلهنا رب واحد " يتضمن إثبات ربوبية الله لعيسى ولكل الناس ، وأن الله وحده هو المتصف بالربوبية والألوهية ، وحينئذ يكون قول المثلثين بأن عيسى رب ، أو إله قولا مخالفا لما قاله المسيح عن نفسه ، وأثبتته الأناجيل التي يقرون بصحتها وصدقها.

وفي قول عيسى " ليس وصية أخرى أعظم من هاتين " درء لدعوى ألوهية عيسى وبالتالي لدعوى التثليث ، وذلك أن عيسى عليه السلام لو كان إلها ، ولو كان الله ثالث ثلاثة لكان وصية بهذا أعظم من هاتين الوجهين ،لكن لأن الوحدانية الخالصة – وليس وحدة في تثليث وتثليث في وحدة – أفضل اعتقاد ومعناه كانت الوصية بها أفضل وأعلى من أي شيء ومن كل شيء .

وفي قول الكاتب لعيسى : " جيدا يا معلم بالحق قلت" شهادة تبرىء عيسى من دعوى الألوهية إذ لو كان عيسى إلها –كما يدعى المثلثون– لكان قد قال هذا الكاتب : " جيدا يا إلهي أو جيدا يا رب أو جيدا يا ابن الله " ثم هل يحتاج الإله لمن يشهد له بالإجادة والقول الحق؟[1].

4ـ وجاء في إنجيل متى " وإذا واحد تقدم وقال له : أيها المعلم الصالح – يقصد المسيح عليه السلام – أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية ؟ فقال له : لماذا تدعوني صالحا ، ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله"[2].

والتوحيد معتقد تلاميذ المسيح وتلاميذهم، كما نقل عنهم ذلك العهد الجديد مراراً.

---

1 – ينظر : عقيدة التثليث عند النصارى .د . محمد شلبي شتيوى صـ 50 ـ51 .

2 – إنجيل متى 19/ 16ـ17 .

5ـ ومنه ما جاء على لسان التلميذ يعقوب : "أنت تؤمن أن الله واحد. حسناً تفعل" [1] ، وعلي هذا يكون القول بألوهية غير الله ليس من الحسن في شيء.

6ـ ويقول : " واحد هو واضع الناموس القادر أن يخلص ويهلك "[2].

7ـ بل وحتى بولس نجد له بعض النصوص التي تعترف لله بالوحدانية يقول بولس واصفاً الله بالوحدانية وغيرها من صفات الجلال والكمال :

" المبارك العزيز الوحيد ملك الملوك ورب الأرباب، الذي وحده له عدم الموت، ساكناً في نور، لا يدنى منه ، الذي لم يره أحد من الناس ، ولا يُقدر أن يراه ، الذي له الكرامة والقدرة الأبدية" ويقول : " لكن الله واحد "[3] .

فهذه النصوص وكثير مثلها تتحدث عن الإله الواحد، وليس في واحد منها أو غيرها حديث عن الإله المتعدد الأقانيم المتوحد في الجوهر الذي يدعيه النصارى .

وبعد ... فإذا كان التثليث باطلا بحكم العقل والمنطق والفطرة ، فهو كذلك أشد بطلانا بحكم الأدلة النقلية التي ذكرناها والتي يقدسونها وليس ما ذكرت هي كل الأدلة بل بعضها ، أوردتها ليكون الأمر واضحا كل الوضوح لكل ذي عينين ولمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

جـ/ إبطال التثليث بنصوص القران :

تحدث القرآن الكريم عن هذه العقيدة وبين زيفها وضلالها ومغالاة النصارى فيها ، كما تحدث عن العقيدة الأساسية وهى عقيدة التوحيد بأدلة متعددة لا مجال للطعن فيها إلا لدي أهل الهوى والضلال ولإبطال هذه العقيدة التي يعتنقها النصارى في الإله

---

1 – يعقوب 2/ 19.

2– يعقوب 4/ 12 .

2– رسالة بولس الرسول الأولي إلى (تيموثاوس (1) 6/ 15–16).

3– غلاطية 3/ 20 .

- باستثناء المعتدلين منهم - ساق القران الكريم عدة أدلة بين من خلالها بطلانها. والآيات القرآنية جاءت صريحة في ذلك منها:

1ـ قوله تعالى : ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللهَّ إِلا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهَّ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللهَّ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللهٌ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَي بِاللهَّ وَكِيلا** ﴾[1].

والذي نلحظه من خلال هذه الآية أنها اشتملَت على أكثر من قضية فهي لم تنه عن التثليث فقط بل اشتملت على ما يلي :

أولاً :عدم المغالاة من قبل أهل الكتاب ؛ لأن المغالاة من قبل النصارى في عيسى -عليه السلام- أوصلتهم إلى قولهم بألوهيته .

ثانياً : بيان حقيقة سيدنا عيسى -عليه السلام- وأنه ابن مريم ، وليس ابن الله كما تعتقدون ، وهو رسول من قبل الله إلى بنى إسرائيل ، وأنه كغيره من البشر مخلوق بكلمة الله .

ثالثاً : بعد بيان هذه الحقائق كان الأولى بالنصارى ألا يصلوا إلى هذه المرحلة وهى قولهم بالتثليث .

رابعاً : تعدد الآيات مرة أخرى لتقرر العقيدة الصحيحة التي ينبغي على النصارى اتباعها وهى أن الله واحد لا شريك وهو منـزه عن الولد ؛ لأنه لا يحتاج إلى خلقه ؛ لأن الملك ملكه فكل ما في السماوات والأرض ملك لله فماذا يفيد الولد معه كما تعتقدون - حاشا لله- أن يكون له ولد[2].

2ـ ومن الآيات القرآنية التي ردت على النصارى في معتقدهم هذا ، وحكمت عليهم بالكفر : قوله تعالى : ﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَّ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا إِلَهٌ**

1- سورة النساء الآية : 171 .

2- العقائد النصرانية في الميزان د محمود سيد صـ165 ـ166 .

﴿ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1] .

إذا كانت الآية السابقة حذرت النصارى من المغالاة التي أوصلتهم في النهاية إلى قولهم بألوهية المسيح -عليه السلام- وألوهية الروح القدس حتى وصلوا إلى الثالوث المقدس تأتى الآيات هنا لتعلن في صراحة كفر النصارى الذين قالوا بهذه العقيدة ولم تقتصر الآية بكفر هؤلاء لقولهم ثالث ثلاثة ، إنما تعود لتقرر حقيقة التوحيد مرة أخرى حتى لا يكون لهم عذر وينتهوا عما هم عليه ، وإذا لم ينتهوا فإن عقابهم عند الله عسير .

ومما يدل على بيان هذه الآية وأنها خاصة بالنصارى ما ذكره العلامة ابن كثير في تفسيره: " والصحيح أنها نزلت في النصارى خاصة ، قال مجاهد وغير واحد ، ثم اختلفوا في ذلك فقيل : المراد بذلك كفارهم في قولهم بالأقانيم الثلاثة وهو أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم الكلمة المنبثقة من الأب إلى الابن تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ، قال ابن جرير وغيره والطوائف الثلاثة من الملكية واليعقوبية والنسطورية تقول بهذه الأقانيم وهم مختلفون فيها اختلافاً متبايناً ... وكل فرقة منهم تكفر الأخرى والحق أن الثلاثة ، وقال السُّدِّي وغيره: نزلت في جعلهم المسيح وأمه إلهين مع الله، فجعلوا الله ثالث ثلاثة بهذا الاعتبار"[2].

ويقول الإمام القرطبى في تفسيره : " .. وهذا قول فرق النصارى من الملكية واليعقوبية و النسطورية ؛ لأنهم يقولون أب وابن وروح القدس إله واحد .. فأكفرهم الله بقولهم هذا وقال : ﴿ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ أي أن الإله لا يتعدد وهم يلزمهم القول بثلاثة آلهة وإن لم يصرحوا بذلك لفظا"[3].

وهكذا تحدث القرآن الكريم عن هذه العقيدة ، ورد على النصارى في قولهم بأن الله ثالث ثلاثة ، حتى حكم بكفرهم بإصرارهم على هذا القول ، وعندما تحدث القرآن الكريم عن العقيدة الحقة وهى عقيدة التوحيد ضرب الأمثلة لمن أراد أن يعتبر أو يتعظ ، كيف يعبد إلهاً غير الله ، وهو سبحانه القوى القاهر وما عداه ضعيف وعاجز ، ثم إن

1- سورة المائدة الآية : 73 .

2- تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير 2 / 130 .دار الفكرط2. 1408هـ 1988م .

3- ينظر : الجامع لأحكام القرآن 6 / 171 ـ 172.

الكون وما فيه من دقة وعظمة صنع تدل على أن له إله واحد وإلا لفسد هذا الكون بما فيه .

3ـ ومن بين الآيات أيضا قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ**﴾[1].

فهذه الآية التي تضيف دليلا آخر ألا وهو دليل الغنى والاستغناء عن اتخاذ ولد "سبحانه هو الغنى "وبيان هذا الدليل من وجوه :

الأول : إنه سبحانه غني مطلقاً على ما في هذه الآية ، والعقل أيضاً يدل عليه ؛ لأنه لو كان محتاجاً لافتقر إلى صانع آخر ، وهو محال وكل من كان غنياً فإنه لا بد أن يكون فرداً منزهاً عن الأجزاء والأبعاض ، وكل من كان كذلك امتنع أن ينفصل عنه جزء من أجزائه ، والولد عبارة عن أن ينفصل جزء من أجزاء الإنسان ، ثم يتولد عن ذلك الجزء مثله ، وإذا كان هذا محالاً ثبت أن كونه تعالى غنياً يمنع ثبوت الولد له .

الثاني : إنه تعالى غني وكل من كان غنياً كان قديماً أزلياً باقياً سرمدياً ، وكل من كان كذلك ، امتنع عليه الانقراض والانقضاء ، والولد إنما يحصل للشيء الذي ينقضي ، وينقرض ، فيكون ولده قائماً مقامه ، فثبت أن كونه تعالى غنياً ، يدل على أنه يمتنع أن يكون له ولد .

الثالث : إنه تعالى غني وكل من كان غنياً فإنه يمتنع أن يكون موصوفاً بالشهوة واللذة وإذا امتنع ذلك امتنع أن يكون له صاحبة وولد .

الرابع : أنه تعالى غني ، وكل من كان غنياً امتنع أن يكون له ولد ؛ لأن اتخاذ الولد إنما يكون في حق من يكون محتاجاً حتى يعينه ولده على المصالح الحاصلة والمتوقعة ، فمن كان غنياً مطلقاً امتنع عليه اتخاذ الولد .

الخامس : ولد الحيوان إنما يكون ولداً له بشرطين : إذا كان مساوياً له في الطبيعة والحقيقة ، ويكون ابتداء وجوده وتكونه منه ، وهذا في حق الله تعالى محال ، لأنه تعالى

1 – سورة يونس رقم :68.

غني مطلقاً ، وكل من كان غنياً مطلقاً كان واجب الوجود لذاته ، فلو كان لواجب الوجود ولد ،لكان ولده مساوياً له. فيلزم أن يكون ولد واجب الوجود أيضاً واجب الوجود ، لكن كونه واجب الوجود يمنع من تولده من غيره ، وإذا لم يكن متولداً من غيره لم يكن ولداً ، فثبت أن كونه تعالى غنياً من أقوى الدلائل على أنه تعالى لا ولد له ، وهذه الثلاثة مع الثلاثة الأول في غاية القوة .

السادس : إنه تعالى غني ، وكل من كان غنياً امتنع أن يكون له أب وأم ، وكل من تقدس عن الوالدين وجب أن يكون مقدساً عن الأولاد .

4ـ ومن بين الآيات أيضا قوله تعالى : ﴿ **وَقُلِ الْحَمْدُ للهَّ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً** ﴾[1].

فالحق سبحانه وتعالى لم يتخذ ولدا وكونه لم يتخذ ولد لكونه إلها صفة تستوجب الحمد .

يقول الإمام الرازي : فذكر هنا من صفات التنزيه والجلال وهي السلوب ثلاثة أنواع من الصفات : منها أنه لم يتخذ ولداً والسبب فيه وجوه : الأول : أن الولد هو الشيء المتولد من جزء من أجزاء شيء آخر فكل من له ولد فهو مركب من الأجزاء والمركب محدث والمحدث محتاج لا يقدر على كمال الإنعام فلا يستحق كمال الحمد . الثاني : أن كل من له ولد فإنه يمسك جميع النعم لولده فإذا لم يكن له ولد أفاض كل تلك النعم على عبيده . الثالث : أن الولد هو الذي يقوم مقام الوالد بعد انقضائه وفنائه فلو كان له ولد لكان منقضياً ومن كان كذلك لم يقدر على كمال الإنعام في كل الأوقات فوجب أن لا يستحق الحمد على الإطلاق ، والنوع الثاني : من الصفات السلبية قوله : ﴿ **وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ شَرِيكٌ فِي الملك** ﴾ والسبب في اعتبار هذه الصفة أنه لو كان له شريك فحينئذ لا يعرف كونه مستحقاً للحمد والشكر . والنوع الثالث : قوله : ﴿ **وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ وَلِيٌّ مَّنَ الذل** ﴾ والسبب في اعتبار هذه الصفة أنه لو جاز عليه ولي من الذل لم

1 – سورة الإسراء رقم :111.

يجب شكره لتجويز أن غيره حمله على ذلك الإنعام أو منعه منه ، أما إذا كان منزهاً عن الولد وعن الشريك وكان منزهاً عن أن يكون له ولي يلي أمره كان مستوجباً لأعظم أنواع الحمد ومستحقاً لأجل أقسام الشكر[1] .

5ـ ومن بين الآيات أيضا قوله تعالى: ﴿ **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾[2]، وفي قوله تعالى : ﴿ **مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾[3]. إن الكون لا يستقيم حاله لو أن له أكثر من إله .

يقول الزمخشري عند تفسير لقوله تعالى : ﴿ **إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ** ﴾[4] " لانفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذي خلقه واستبد به ، ولرأيتم ملك كل واحد منهم متميزاً عن ملك الآخرين ، ولغلب بعضهم بعضاً ، كما ترون حال ملوك الدنيا ، ممالكهم متمايزة ، وهم متغالبون ، وحين لم تروا أثراً لتمايز الممالك وللتغالب فاعلموا أنه إله واحد بيده ملكوت كل شيء"[5] .

هذه قليل من كثير مما جاء في القران الكريم يتضح من خلاله رفض القرآن لها وبيان قبحها وقبح أنصارهاٱخصوصاً وأنه أكد علي تبرأ عيسى منها ومن كل ما يتصل بها من عقائد أخري باطلة ٱ وهذا هو إعلان البراءة من هذا التثليث يأتي على لسان عيسى عليه السلام يوم يجمع الله الرسل فيقول الله له

﴿ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ ... ﴾ فما كان جواب عيسى

1- ينظر : مفاتيح الغيب للإمام الرازي .جـ 9 صـ 139 ــ 140 .دار الفكر للطباعة والنشر .1414هـ 1994م.

2- سورة الأنبياء الآية . 22 .

3- سورة المؤمنون الآية . 91 .

4- سورة المؤمنون الآية . 91 .

5 – الكشاف عن حقائق غوامض التنـزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، للإمام محمود بن عمر الزمخشري جـ 3 . صـ 200 .ط دار الكتاب العربي .الطبعة الثالثة بيروت لبنان 1987م.

إلا كما أخبر القرآن الكريم : ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللهَّ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [1].

وهكذا نجد أن آيات الله في القرآن ترد على هذا الصنيع وما فعله القوم بدين عيسى عليه السلام وترد هذا الصنيع إلى مصدره ومنبعه الأصلي الذي جاء منه قال تعالى ﴿ ... ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُّ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [2].

تعقيب :

هذا هو التثليث النصراني أخذه قساوسة النصارى عن المصريين القدماء والهنود والفرس وفلاسفة اليونان وغيرهم .

فقد أخذت المسيحية أصول التثليث من كل الديانات الوثنية التي كانت تعتقد بالتثليث آنذاك ، خاصة وأن بولس الذي كان محوراً رئيسياً في ذلك ، فقد درس العقائد والثقافات التي كانت تسود الشرق وبلاد اليونان ومزج العقيدة النصرانية بكل هذه المعتقدات الوثنية ، لكن الأمر الذي يثير الدهشة كيف بثالوث الشعوب الوثنية يتسرب إلى ديانة موحى بها من قبل الله تعالى ؟ والجواب : إن المسيحية رسالة سماوية نزل بها عيسى عليه السلام من عند الله مناديا بوحدانية الله وداعيا الناس إلى صالح الأعمال شأنه كشأن جميع الأنبياء والمرسلين ، ولكن الوثنية شوهت تلك الصورة المشرقة لهذه الرسالة العظيمة التي جاء بها السيد المسيح ،ولا غرابة في ذلك خصوصاً إذ علمنا أن عبادتهم كلها من وضع ساداتهم مما ترتب عليه قلبهم للحقائق ولبسهم الحق بالباطل.

والأعجب من ذلك أن كثيراً من علمائهم يدركون ذلك ويعترفون به ؛ بل ويبررونه زاعمين أن ذلك من مكملات الإيمان كما أنه من جهة أخري يدل على وحدة المصدر أي أن مصدر التثليث عند الوثنيين وعند النصارى هو الوحي الإلهي ، وكل

1 – سورة المائدة الآية . 117 .

2 – سورة التوبة الآية . 30 .

ذلك حفاظاً علي مكانة يحتلونها أو مصلحة يتكسبونها.

وقصارى القول في هذا : أن المسيحية قد تأثرت بجميع الديانات الوثنية القائلة بالتثليث دون تمييز ، والسبب في ذلك يعود إلى فتح النصارى الباب أمام الوثنيين ، ولم يعارضوا أي فكر وثني أو يرفضوه أو يحجروا عليه ؛ بل كان الوثني يدخل النصرانية محملاً بالعقائد الوثنية ، والمعتقدات المتناقضة ، ولم يعترض عليه من قبل المسيحيين لهذا تسربت الوثنية بكل ألوانها إلى النصرانية دون أن تجد من يتصدى لها ؛ بل علي العكس وجدت تربة خصبة ، وأرض طيبة لغرس ما تريده وراعى يقوم علي أمرها أفضل قيام وهو "بولس " .